فاذا اي فتسبب عن عدم عقلهم المستلزم لعدم علمهم انهم اذا ركبوا
البحر في الفلك اي السفن دعوا الله اي الملك الاعلى مخلصين بالتوحيد
له الدين معرضين عن الشرك بالقلب واللسان حيث لا يذكرون الا
الله ولا يدعون سواه لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد الا هو فلما نجاهم
اي الله سبحانه وتعالى موصلا لهم الى البر اذا هم اي حين الوصول
الى البر يشركون به كما كانوا فهذا اخبار عنهم بانهم عند الشدائد
معترفون ان القادر على كشفها هو الله عز وجل وحده فاذا زالت
عادوا الى كفرهم قال عكرمة كان اهل الجاهلية اذا ركبوا في البحر
حملوا معهم الاصنام فاذا اشتد عليهم الريح القوها في البحر
وقالوا يا رب وقال الرازي في اللوامع وهذا دليل على ان
معرفة الرب في فطرة كل انسان وانهم ان غفلوا في السراء فلا
شك انهم يلوذون اليه في حال الضراء اهـ فقطع ان الاشتغال
بالدنيا هو الصاد عن كل خير وان الانقطاع عنها معين للفطرة
الاولى المستقيمة وهذا تجد الفقراء اقرب الى كل خير وفي اللام
في قوله تعالى ليكفروا بما آتيناهم وجهان اظهرهما ان اللام فيه
لام كي اي يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة فيكون
ذلك فعل من لا عقل له اصلا وهم يتحاشون عن مثل ذلك
والثاني كونها للامر وليتمتعوا باجتماعهم على عبادة الاصنام
وتوادهم عليها وقرا ورش وابو عمرو وابن عامر وعاصم
بالكسر وهي محتملة للوجهين المتقدمين والباقون بالسكون
وهي ظاهرة في الامر فان كانت اللام الاولى للامر فقد عطف
امرا على مثله فان قيل كونها للامر مشكل اذ كيف يامر الله
تعالى بالكفر وهو متوعد عليه اجيب بان ذلك على سبيل
التهديد

التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم فان كانت اللام الاولى للامر
فقد عطف امرا على مثله وان كانت للعلة فقد عطف كلاما على
كلام فيكون المعنى لا فائدة لهم في الاشراك الا الكفر والتمتع بما
يستمتعون به في العاجلة من غير نصيب في الاخرة فسوف يعلمون
يوم ما يحل بهم من العقاب ولما كان الانسان يكون في البحر على
اخوف ما يكون وفي بيته يكون على امن ما يكون لا سيما اذا كان
بيته في بلد حصين فلما ذكر الله المشركين عند الخوف الشديد وردوا
انفسهم في تلك الحالة راجعة الى الله ذكرهم حالهم عند الامن العظيم
بقوله تعالى اولم يروا اي اهل مكة يعلمون ببصائرهم انا جعلنا
بعظمتنا لهم حرما وقال آمنا لانه لا خوف على من دخله فاهل من كل
من دخله كانه هو نفسه الامن وهو حرم مكة فانها مدينتهم
وبلدهم وفيها سكناهم ومولدهم وهي حصينة بحصن الله وآمنة
موجبة للتوحيد والاخلاص لانكم في اخوف ما انتم دعوتم وفي
امن ما حصلتم عليه كفرتم بالله وهذا متناقض لان دعاكم في
ذلك الوقت على سبيل الاخلاص ما كان الا لعلمكم بان النعمة
من الله لا غير وهذه النعمة العظيمة التي حصلتم وقد اعترفتم
بانها لا تكون الا من الله فكيف تكفرون بها والاصنام التي قلتم
في حال الخوف ان لا امن لها كيف امنتم بها في حال الامن والحال
انه يتخطف الناس من حولهم اي من حول من فيه في كل جهة
قتلا وسبيا مع قلة من بمكة وكثرة من حولهم فالذي خرق العادة
في فعل ذلك حتى صار على هذا السنن قادر على ان يعكس
الحال فيجعل من بالحرم متخطفا ومن حوله آمنا او يجعل الكل في
الخوف على منهاج واحد افبالباطل من الشياطين والاديان

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)